الحذف بين الصِّناعة النَّحويَّة والتَّوجيه الدّلالي

The Deletion between Grammatical Formulation and Semantic Orientation

(مطالعةٌ تحليليَّةٌ في كتب إعراب القرآن الكريم)

(an Analytical Study of The Books of The Syntax of The Holy Qur'an)

م. د ناطق نجم عبد الله الزركاني

Natiq najm Abdullah Alzirgani

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Univeristy of Wasit/
College of Education for Human Sciences

nnajim@uowasit.edu.iq

الملخص

تناول الباحث جهود معربي القرآن في الكشف عن ظاهرة لغوية نحوية، هي ظاهرة الحذف في الاستعمال القرآني، فقد تنبه معربو القرآن الى موارد الحذف وقرائنه، والشيء البارز في جهود هؤلاء المعربين انهم لم يغفلوا الجانب الدلالي في توجيه هذه الظاهرة، فلم يكتفوا بالتفسير النحوي (الصناعة النحوية) بل كان للجانب الدلالي – على الرغم من قلته– حضور في تفسير هذه الظاهرة.

كلمات مفتاحية: الحذف، الصناعة التحويلية، التوجيه الدلالي، القرأن

Abstract

The researcher dealt with the efforts of the interpreters of the Holy Qur’an to investigate of the linguistic and grammatical phenomenon, which is the phenomenon of deletion in Qur'an usage. The most important thing of the analysts' efforts, that they did not ignore the semantic aspect of the directing of this phenomenon, and were not satisfied with the grammatical interpretation (grammatical formulation), because the semantic aspect despite of its lack of presence but it had an impact on the interpretation of this phenomenon.

Keywords: deletion, grammatical formulation, semantic orientation, Qura’n.

المقدمة

لاشك أنَّ الحذف من الظَّواهر البارزة في اللُّغة العربيَّة ويعني إسقاط جزء من الكلام لدليل[١]، وهو من خصائص العربيَّة ونظامها اللُّغوي فهي تميلُ إلى الإيجاز، والإيجاز سمةٌ بارزةٌ في اللُّغة العربيَّة محققاً أسلوب الحذف، إذ أنَّ من عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلباً لتقصير الكلام واطراح فضوله والاستغناء بقليلهِ عن كثيرهِ، ولقد أوضح هذه الظَّاهرة في العربيَّة واسماها ابن جنِّي بـ(شجاعة العربيَّة)[٢].

ولمَّا كان القرآن الكريم نازلاً بلغة العرب، فهو لم يخرج عن هذه الظَّاهرة مع احتفاظ القرآن الكريم بفرادة الأسلوب، وظاهرةٌ بهذه الوضوح لم يغفل عنها النحويون واللغويون ومنهم معربو القران الكريم، فهم قد وقفوا عند هذه الظاهرة مشيرين إلى موارد الحذف في النَّص القرآنيّ، كذلك فانَّ معربي القرآن لفتوا الانتباه إلى قرائن الحذف، إذ اشترط النُّحاة الدَّليل على المحذوف، وهو إمَّا دليلٌ نحويٌّ يرتبط بأحكام صناعة النَّحو، أو دليلٌ غيرُ نحويٍّ، ينقسم على دليلٍ حاليٍّ يُعرفُ من الظُّروف المحيطة بالكلام ودليلٌ مقاليٌّ يُعرف من تتابع الألفاظ في الكلام المنطوق[٣].

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٢.

(٢) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٩ ينظر: التحويل في النحو العربي: ٧٠.

(٣) ينظر: مغني للبيبي: ٢/ ٢٠٣ وينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي.

الحذف في اطار الصناعة النحوية

وقد عقد الزَّجاج في كتابه (إعراب القرآن) أبواباً متعددة لموارد الحذف في النَّص القرآنيّ كحذف المبتدأ، والخبر، والمفعول، والمضاف، والمضارع، وغيرها، ووقف المعربون عند موارد الحذف في أثناء إعرابهم للنَّص القرآنيّ.

فقد أشاروا إلى مواضع حذف الكلمات التي قد تكون مرفوعة، أو منصوبة، أو مجرورة، فهم كثيراً ما يقدِّرون حذف هذه الكلمات، وكان تعاطيهم في الغالب مع هذه التَّقديرات على وفق ما تمليه عليهم الصِّناعة الإعرابيَّة، فالمبتدأ يُحذف بعد فاء الجواب، ومن ذلك ما ذكره الزَّجاج في قوله تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[1]، إذ التَّقدير عنده: «الواجب عليكم إمساك بمعروف»[2].

والنَّحاس كثيراً مايشير إلى تقدير المبتدأ بعد القول، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[3]، والتقدير عنده: «هذا قرة عين لي ولك»[4].

والتقديرات عندهم أكثر من أن تُحصى، وهي تارة تكون على نحو الوجوبِ، وتاره على نحو الجواز، وأحياناً نجدهم يختلفون في تعيين المقدار المحذوف فيما إذا كان فعلاً أو اسماً، أو مرفوعاً أو منصوباً، هذا كله ضمن الصِّناعة النَّحوية، ولكن للحذف وجهة أخرى، هي الوجهة الدّلالية بمعنى أنَّ الحذف له نحو من الارتباط بالمعنى، والذي

(١) البقرة:٢٢٩.

(٢) معاني القرآن واعرابه:١/ ٢٥٦.

(٣) القصص:٩.

(٤) اعراب القران:٦٣٤.

يفسر هذه التَّقديرات ويفسر الحذف هو سلطة المعنى وأثر المعنى لا الصِّناعة النَّحويَّة، وبدأت هذه الظَّاهرة تتشكل مع تنامي البحث الدّلالي عند علماء العربية، ولا سيَّما عند دارسي الإعجاز القرآنيّ، وعلى وجه الخصوص مع ظهور نظرية النَّظم الجرجانيَّة، فهو الذي أسس للدَّرس الدِّلالي لهذه الأساليب النَّحوية، ومنها الحذف، والذي يهمنا في دراستنا هذه هو التَّعرف على ظاهرة الحذف ضمن هذين الجانبين، جانب الصِّناعة النَّحوية وجانب التَّوجيه الدّلاليّ في جهود علماء العربية في الفترة التاريخيَّة السَّابقة لظهور نظرية النَّظم، وبيان التَّوجيه الدّلالي المرتبطة بتقدير المحذوفات، وهي-بلا شك- عند المعربين كثيرة، لأنَّ التَّقدير يرتبط عندهم بالمعنى، وبذلك تترشح عندهم عللاً تعبيرية وانزياحات دلاليَّة.

ومن ذلك ما استحسنه الزَّجاج والنَّحاس في توجيه «فيتعلمون» في قوله تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[1] إذ احتمل المعربون وجهين لـ(فيتعلمون).

الأوَّل: أن تكون معطوفه على قوله تعالى: **﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾**.

(١) البقرة: ١٠٢.

الثَّانيّ: أن يكون هناك تقديرٌ، فهي معطوفة على معنى «وما يعلمان»: والتَّقدير: فيأبون فيتعلمون مايضرهم، ويكون «فيتعلمون»، متعلقة بقوله تعالى: «إنَّما نحن فتنة»، فيأبون فيتعلمون مايضرهم[1].

فالزَّجاج والنَّحاس يرفضان الوجه الأوَّل و لا يستحسنانه، إذ أنَّ قوله (منهما) دليل على أنَّ التَّعلم من الملكين خاصَّة، إذ لو كان (فيتعلمون) معطوفة عليه لوجب أن يقول فيتعلمون منهم، والوجه الحسن هو أن يكون (فيتعلمون) معطوفة على مايوجه معنى الكلام ويقدِّر المعنى: إنَّما نحن فتنه فلا تكفر فلا تتعلم ولا تعمل بالسِّحر أي فيأبون ذلك فيتعلمون[2].

الحذف في اطار السياق ومقتضيات الدلالة:

لقد شكَّل المعنى مرتكز أساس في توجيه ظاهرة الحذف عند معربي القرآن الكريم، إذ يستمد الحذف أهمِّية في معالجة المعربين له من حيث «أنه لا يورد المنتظر من الالفاظ، ومن ثمَّ يفجِّر ذهن المتلقي شحنة فكريَّة توقظ ذهنه، وتجعله يتخيَّر ما هو مقصود، وعملية التَّخيل هذه التي يقوم بها المتلقي – تؤدي إلى حدوث تفاعل من نوع ما بين المرسل والمتلقي قائم على الإرسال النَّاقص من قبل المرسِل وتكملة هذا النقص من جانب المتلقي»[3].

ويمكننا أن نتلمس أثر المعنى في تقديرات معربي القرآن الكريم في أمثلة كثيرة، فقد راعى معربو القرآن الكريم المعنى في تقديرهم لاسم الإشارة أو الضَّمير مبتدأ محذوفاً في كثير من الآيات، فقد قدَّر الزَّجاج الضَّمير في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**الْحَقُّ مِنْ**

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن واعرابه: ١/ ١٦٢ وينظر: اعراب القرآن النحاس: ١/ ٢٥٢.

(٣) الاسلوبية (مدخل نظري دراسة تطبيقية):١٣٧.

﴿رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1]، بينما قدر اسم إشارة في سورة آل عمران، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[2]، وهذا الاختلاف في التَّقدير عند الزَّجاج جاء مبنياً على أساس المعنى السِّياقيّ، ففي آية آل عمران يقول: «المعنى الذي أنباناك به في قصة عيسى عليه السلام هو الحق من ربك»[3]، فتقدير الضَّمير إنَّما هو الإشارة إلى المفهوم من السِّياق قبلها، إذ أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول قبل هذه الآية: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[4].

في حين أنَّ تقديره لاسم الإشارة بدل الضَّمير في آية البقرة، أي: (هو الحق) مبني على أنَّ تلك الإشارة إنَّما هي إشارة إلى المفهوم من السِّياق قبلها، وهذا يعني أنَّ السِّياق اللُّغوي المعبر عن المعنى هو بمثابة العلة التَّعبيريَّة التي ألجأت الزَّجاج إلى إعادة التَّقدير وتغييره من الضَّمير إلى اسم الإشارة، وقد راعى النَّحاس السِّياق أيضاً حين قدر مبتدأ محذوف في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5].

فالتَّقدير عنده: «المفترض عليكم هو صوم شهر رمضان»[6]، وتقديره هذا جاء مراعاة لسياق الآيات قبلها، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا

(١) البقرة: ١٤٧.
(٢) الاعراف: ٤.
(٣) معاني القرآن واعرابه ١/ ٤٢٨.
(٤) البقرة١٤٧.
(٥) البقرة:١٨٥.
(٦) اعراب القرآن، النحاس: ١/ ٢٨٧.

﴿كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، وتقدير كتب عليكم فرض عليكم، لذلك ناسبه أن يكون التَّقدير في (شهر رمضان) المفترض عليكم.

لقد بلغ ارتباط التَّقدير بالمعنى عند معربي القرآن الكريم إلى درجة أنَّ بعضهم رفض التَّقدير حين رأى أن عدم التَّقدير هو المناسب لدلالة التَّركيب إذ أنَّ «المنهج السَّليم يقتضيهم أن يحصروا عملهم في الصُّورة اللَّفظية المنطوقة، لا في الألفاظ المتوهمة أو المتصورة»[2]، وقد بدا ذلك واضحاً في اختيار كل من الزَّجاج والعكبري لقراءة الرَّفع في قوله تعلى: ﴿الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، إذ أنَّ (الحمد) تقرأ بالرَّفع والنَّصب، وقراءة النَّصب مبنيَّة على أساسَ أنَّ (الحمد) مصدرٌ لفعلٍ محذوفٍ، وهي قراءة أجازها كثيرٌ من معربي القرآن الكريم[4]، إلاَّ أنَّ الزَّجاج اختار قراءة الرَّفع ؛ لأنَّ الرَّفع أحسن وأبلغ في الثَّناء على الله عزَّ وجلّ[5]، وقراءة الرَّفع هي اختيار العُكبريّ أيضاً قال: «والرَّفع أجود لأنَّ فيه عموماً في المعنى»[6].

فالمنطلقات لدى الزَّجاج والعُكبريّ في عدم التَّقدير هي منطلقات تعبيريَّة دلاليَّة، فهناك فرقٌ دلاليٌّ بين: (احمد الله) أو (يحمد الله) على أساس تقدير المحذوف، وبين (الحمد لله) من دون تقدير هذا التَّعبير بالجملة الفعليَّة فتختص تفاعل معين، هو المتكلم في هذه أنَّ جملته الحمد لله هي مطلقة لا تختص بفاعل معين، فهو المحمود على وجه الإطلاق، منك ومن غيرك، كذلك فإنَّ التَّعبير بالجملة الفعلية مرتبط بزمنٍ معينٍ،

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د نعمة العزاوي (بحث في مجلة الموارد، م ١٠/ العدد (٣،٤) لسنة ١٩٨١: ١١٦.

(٣) الفاتحة: ٢.

(٤) معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم ج١ ص٥ ينظر: مشكل اعراب القرآن:١٧ وينظر البيان في غريب اعراب القران، ابن الانباري ١/ ٣٤.

(٥) ينظر: معاني القرآن واعرابه: ١/ ٥١.

(٦) البيان في اعراب القرآن ١/ ١٥.

وهذا يعني أنَّ الحمدَ لا يحدثُ في غير هذا الزَّمن الذي تحمده فيه، ولاشك أنَّ الزَّمن الذي يستطيع الشَّخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود، وهكذا كل فعل يقوم به الشَّخص محدود الزَّمن فإنَّ أقصى ما يستطيع أن يفعله أن يكون مرتبطاً بعمره، ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل، فيكون الحمدُ أقلُ ممَّا ينبغي، في حين أنَّ حمدَ الله لا ينبغي أن ينقطع، ولا يحدُّ بفاعلٍ أو بزمانٍ، وعبارة (الحمد لله) هي الموفِّية بذلك المَعنى، فهي مطلقة غير مقيدة بزمن معين فالحمد فيهما مستمر غير منقطع[١].

كذلك فانَّ التَّعبير بالجملة الاسمية دالٌ على الثبوت، وهو أقوى وأدوم من الجملة الفعلية الدَّالة على التَّجدد والحدوث[٢]، وهذه الوجوه وغيرها كانت حاضرة عند الزَّجاج والعكبري، فكانت محفزة لهما على تبني قراءة الرفع التي يترتب عليها تكوّن الجملة الاسمية دون قراءة النَّصب التي تفضي إلى الجملة الفعلية.

إنَّ لهذه الإشارات نماذج أخرى ستأتينا لاحقاً، وهي قليلة ومتناثرة، ولو أنَّها كانت ظاهرة وكثيرة عند معربي القران الكريم القدماء لصح لنا أن نقول أنَّهم أسسوا لمنهج لساني اعتمده المحدثون، مبني على فكرة عدم الحاجة إلى التَّقدير ؛ لأنَّ الإصرار على وجود المحذوف يذهب بما قصد إليه المتكلم من تأثير في نفس السَّامع أو القارئ[٣]، فقد رفض عدد من الباحثين المحدثين فكرة ضرورة وجود المسند والمسند إليه، وأنَّ عدم وجود أحدهما يستلزم منَّا تقديره، فالجملة كما يرى محمد عبدو «هي التي تؤدي الفائدة كاملة، أمَّا تكوينها الشَّكلي فلا يُشترط فيه أن يوجد في النُّطق مسند ومسند إليه، بل تتحقق الفائدة كاملة بوجودهما، وقد تتحقق بكلمة واحدة إذا أردت المعنى المفيد»[٤].

(١) ينظر التفسير الكبير، الرازي ١/ ٩١ وما بعدها، وينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ١١ -١٢.
(٢) لمسات بيانية: ١٢.
(٣) ينظر: نحو القرآن، د. عبد الستار الجواري: ٨.
(٤) اصول النحو العربي، د. محمد عبد: ٢١٨.

ودكتور نعمة رحيم العزاوي يرى أنَّ (المنهج اللُّغوي الحديث لا يعترف بهذه اللَّابدية في فهم الجملة)[١]، وهذا المنهج لو طبق في القرآن الكريم لفتح أمام الباحثين أسراراً دلاليَّة كثيرة في النَّص القرآني، إلا أنَّ نظرية العامل كانت هي المسيطرة على أذهان السَّابقين، وفي ضمنهم معربي القرآن الكريم.

وإذا كان المعنى هو الدَّاعي إلى التَّقدير عند معربي القرآن الكريم القدماء، فإنَّ الحذف عند معربي القرآن الكريم المتأخرين والمعاصرين جاء مراعاة للأغراض البلاغية، إذ أنَّ الدَّرس البلاغي عنى بالحذف بشكل أعمق ممَّا عليه الدَّرس النَّحوي «فقد راعوا فيه تنوع المقامات، وتعدد السِّياقات، كما راعوا أغراض المتكلمين ومقاصدهم في ذلك، وهذا ما لا تجد له مثيلا إلَّا عند بعض النُّحاة الذين كانت نظرتهم نحويَّة بلاغيَّة، ولم تقتصر على الجانب الإعرابي فحسب»[٢]، فكان التَّفخيم والإعظام، وطلب الإيجاز والاختصار، وتحقير شأن المحذوف وصيانة المحذوف تشريفاً له، أو طلب الإيهام أو الجهل بالمحذوف، أو الخوف منه، أو عليه، وغيرها من الأغراض تمثل عللاً تعبيريَّة توجه التَّقديرات في النَّص القرآني.

فلم يعد الاختصار والإيجاز هما المبرران الوحيدان للحذف في التَّركيب القرآني، ومن ذلك ما أشار إليه المعربون المحدثون في علة حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[٣]، فـ(أحياء) هو خبر لمبتدأ محذوف، أي هم أحياء، وقد علل المعربون هذا الحذف لما فيه من أهميَّة ذكر الخبر ؛ لأنَّهم ما كانوا يتصورون أنَّهم أحياء، فعدّ سبحانه هذه البدائية العجيلة تصويراً رشيقاً[٤].

(١) الكلمة العربية: نعمة رحيم العزاوي/ ١١٥.

(٢) التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية: ١٥٤.

(٣) البقرة: ١٥٤.

(٤) ينظر: اعراب القرآن وبيانه: ١/ ١٩٧.

ولم يكتفِ المعربون المحدثون بمراعاة السياق، وحال الخطاب في تحليلاتهم التَّعبيريَّة لموارد الحذف في النَّص القرآني، بل كان تنبههم لنوع المقدر منسجماً مع السِّياق أيضاً، ويمكننا أن نمثل لذلك بما ذكروه عن حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾[1]، فالمشهور بين المعربين أن (قوم) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (أنتم) إلَّا أنَّ المحدثين رأوا أنَّ حال إبراهيم عليه السلام ينافي أن يكون التَّقدير (أنتم) إذ أنَّه عليه السلام لا يخاطبهم بذلك إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى، بل المناسب للتَّقدير هو (هؤلاء)، وإنَّه قال ذلك مع نفسه، أو لمن كان معه من أتباعه وعلمائه، بحيث لا يسمع ذلك الأضياف[2]، وهذا يمثل نمطاً من أنماط الحوار الدَّاخلي، ويقصد به حوار الشَّخص مع نفسه، ولهذا النَّمط من الحوار مسوغاته الفنيَّة والفكريَّة.

وتتضح التَّعليلات التَّعبيريَّة عند المعربين بشكل أوضح في موارد حذف المفعول به، فحذف المفعول في النَّص القرآنيّ، وفي الكلام العربي على وجه العموم كثير التَّداول حتى ليكاد أن يكون اصلاً في الكلام، وقد كان المعربون القدامى مهتمين كثيراً بتعين المفعول المحذوف معتمدين على دلالة السِّياقين اللُّغوي والمَقامي، فالفعل (سمع) إذا تعدى إلى مفعول واحد فلا بد أن يكون صوتاً أو حديثاً، وإذا تعدى إلى مفعولين كان الأوَّل منها جوهراً والثَّاني صوتاً، وقد عرف الزجاج هذه الحقيقة وراعاها في تقدير المفعول بعد (اسمع)، في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[3] والتَّقدير عنده: لا سمعهم جواب كلِّ ما يسألون عنه[4]

(١) الذاريات: ٢٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن واعرابه، الزجاج: ٥/ ٤٥.

(٣) الانفال: ٢٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢/ ٤٥٠.

وهذا ماتنبه له النَّحاس إذ لا يصح عنده أن تقول سمعت زيداً وتسكت، إنَّما تقول سمعت زيداً يقول كذا وكذا[١].

ومرة أخرى نجد المعنى هو المتحكم في توجيه التقديرات عند معربي القرآن الكريم، ورفض التَّقديرات غير المتوافقة مع المعنى نجدها مرة أخرى شاهدة على ذلك فـ(التغير الحاصل في البنى من خلال الحذف يجب أن يُسهم في بناء المعنى واثراء دلالته، ولا جدوى منه إذا تجرد من الفائدة الدّلالية، إذ إنَّه ليس الحذف الأكثر قدرة على تجسيد الدّلالة دائماً، بل أنَّ قوة دلالة الحذف من قوة السياق الذي يرد فيه)[٢].

وهذا ماظهر لنا حين خطّأ الزَّجاج من قدَّر المفعول، في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[٣]، إذ إنَّ بعضهم قدّره بـ(أرني أمراً عظيماً)، فرأى الزَّجاج أنَّ هذا خطأ، إذ ليس في الكلام دليل أنَّ موسى عليه السلام أراد أن يرى أمراً عظيماً من أمر الله، فقد أراه الله من الآيات ما يستغني به عن أن يطلب أمراً من أمر الله عظيماً، ولكنَّه لَمَّا سمع كلام الله قال: رب أرني أنظر إليك، سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك فأعلمه الله جل ثناؤه أنه لن يراه[٤].

فتخطئة الزجاج -إذن- جاءت على وفق متطلبات المعنى ودواعي السِّياق المقامي، ولكن كان بمقدور الزَّجاج أن يكتفي بتخطئة من يقول بالتَّقدير بالاعتماد على المعطيات اللُّغوية، أذ أنَّ (رأى) البصرية هي من الأفعال المتعدية لمفعول واحد وتكتفي به، فلا حاجة لتقدير مفعول ثان، مادام الفعل استوفى فعله واكتفى به.

(١) ينظر اعراب القرآن: ٢/ ٤١١.

(٢) الدلالة القرآني عند الشريف المرتضى: ٢٤٠.

(٣) الاعراف: ١٣٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن واعرابه ٢/ ٣٠٣.

وتعليل حذف المفعول وارتباطه بالسِّياق المقامي أو المقالي نجده أيضاً عند النَّحاس، إذ أنَّه قدَّر حذف المفعول الفعل (انمى) في موردين بنحوين مختلفين مراعاة للسياق المقامي، فهو في قوله تعالى: ﴿**وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[1]، يقدر المفعول المحذوف للفعل (يتقون) بقوله (يتقون معاصي الله)[2]، في حين أنَّه في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3] يعد مفعولاً آخر عاما اذ أن تقديرها عنده (مانهى عنه)[4].

ومن موارد التَّحليل وارتباطه بالسِّياق عند معربي القرآن الكريم، هو حذف مفعول المشيئة أو الإرادة، فقد شاع في كلام العرب حذف مفعول فعل المشيئة ورأى النُّحاة أنَّ أكثر ما يقع ذلك بعد أداة الشَّرط ؛ لأنَّ مفعول المشيئة مذكور في جوابها، وهو أمر كثير الوقوع في القرآن الكريم، وحينما يمرُّ معربو القرآن الكريم على النُّصوص القرآنيَّة التي تنضمن أفعال المشيئة والإرادة، فإنَّهم يقدِّرون المفعول المحذوف لهذه الافعال، ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾[5].

يقدِّر المعربون: وما تشاؤون ذلك السَّبيل، وهذا ماقدَّره النَّحاس، وهو هنا حين يقدِّر المفعول بـ(ذلك السَّبيل)، لم يكن ذلك التَّقدير اعتباطاً، بل جاء ذلك معللاً بالسِّياق اللُّغوي، إذ أنَّ (السُّبل) قد ذكر في الآية السَّابقة، قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا**

(١) الانعام: ٦٩.
(٢) اعراب القرآن، النحاس: ٢/ ٦٢.
(٣) البقرة: ١٨٩.
(٤) اعراب القرآن: ١/ ٢٩١.
(٥) الانسان: ٢٩.

﴿أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، فناسبه أن يكون هو المفعول المحذوف للفعل (تشاؤون).

وإذا كان السِّياق اللُّغوي والمقامي هو المتحكم في تحديد مفعولي المشيئة على وفق تطبيقات المعربين، يبقى علينا أن نعرف ما إذا أشار المعربون إلى الوجه البياني، والتَّعليل التَّعبيري لحذف مفعول (المشيئة)، وعند تقصي كتب إعراب القدامى فإنَّنا لا نجد إشارات لذلك، ولكنَّ المعربين المحدثين أدركوا ما لهذا الحذف من سرٍّ بيانيّ، ومن ذلك ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[2].

فقد ذكر الدَّرويش أنَّ المفعول حينما يكون معلوماً مقصوداً، قد علم أنَّه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال، أو ما سبق من الكلام إلَّا أنَّه يحذف لكي تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له وتنصرف بجملتها إليه[3]، وهذا ما خلص إليه من قبل الجرجاني، إذ يعلل لجمال حذف المفعول بعد فعل المشيئة بأنَّ في البيان بعد الإيهام، وبعد تحريك النَّفس إلى معرفته لطفاً ونبلاً، لا يكون داعم بتقدم ما يحرك، فأنت إذا قلت لو شئت علم التَّسامح أقل قد علمت هذه المشيئة في المعنى بشئ، فهو يضع في نفسه أنَّ هاهنا مشيئاً تقتضيه المشيئة[4]، وفي فعل المشيئة حينما ذكر الجواب كان ذلك منفياً عن المفعول المحذوف (فكان الحذف هاهنا أبلغ من الذِّكر وأفصح، وكان المعنى أجمل وأوضح)[5].

(١) الانسان:٣٠.

(٢) مريم:٦١.

(٣) ينظر: اعراب القرآن وبيانه: ٢٤٤.

(٤) ينظر: دلائل الاعجاز.

(٥) التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية: ١٧٣.

ومن هنا يمكننا أن نؤاخذ على معربي القرآن الكريم القدامى أنَّهم اهتموا كثيراً في تعيين المفعول المحذوف لكل فعل متعد لم يستوف مفعوله، في حين أنَّ في حذفه أسراراً بيانيَّة لا تتحقق بالذكر، ومن دواعي حذفه هو إفادة التَّعميم، ففي قوله تعالى: ﴿**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى**﴾[1]، حرص المعربون على تقدير الفعل المحذوف بـ(هداهم)، قال النحاس (وما هداهم إلى خير ولا نجاة)[2]، في حين أنَّ الحذف هنا له غرض لطيف، وذلك أنَّه أخرجه مخرج العموم أي: إنَّ فرعون لم يتصف بصفة الهداية البتة، وذلك أنَّه لو قال وما هداهم لكان عدم الهداية مقيداً بقومه، إذ يحتمل أنَّه هدى غيرهم لكنَّه قال (وما هدى)، أي ما هدى احداً[3].

ودلالة حذف المفعول به على التَّعميم هو ماتنبه له معربو القرآن الكريم المحدثون، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾[4]، فمفعول (أكلوا) محذوف لقصد التَّعميم -كما يرى صاحب إعراب الجدول في إعراب القرآن الكريم، أو للقصد إلى نفس الفعل، كما في قوله فلان يعطي ويمنع[5]، وهذا ما ذهب إليه صاحب إعراب القرآن وبيانه، إذ قال إنَّ «الأصل في ذلك كلِّه على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق»[6]، في حين أنَّ معربين آخرين لم يلتفتوا إلى هذا التَّعليل التَّعبيري، بل راحوا يتكلفون تقدير المفعول فتقديره عند العكبري: (الاكلو رزقاً)[7]، وهذا تقدير ارتضاه بعض المعربين المحدثين كالشيخ محمد علي

(١) طه: ٧٩.

(٢) اعراب القرآن، النحاس: ٥٤٥.

(٣) ينظر: معاني النحو: ٢/ ٥١٤ - ٥١٦.

(٤) المائدة:٦٦.

(٥) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٣ - ٤/ ٤٠٧.

(٦) اعراب القرآن وبيانه: ٢/ ٢٦٦.

(٧) البيان في اعراب القرآن: ١/ ٣٥٦.

الدُّرة[1]، وهم بهذا التَّقدير يكونون قد ضيعوا الدّلالة التَّعبيريَّة للحذف، وأضحى الحذف منهجاً شكلياً.

وقصد التَّعميم كان هو العلة التَّعبيرية لحذف مفعول الفعل (جاهد) في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]، فقد أطلق المجاهدة، ولم يعدها بمفعول لتناول كل مايجب مجاهدته من النَّفس الأمَّارة بالسُّوء والشَّيطان، وهذا أحسن من تقدير مفعول به خاص كما فعل الكثيرون من المفسرين ليتناول جميع الطَّاعات والمزدلفات[3].

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم واعرابه: ٣/ ١٦٥.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) اعراب القرآن وبيانه: ٦/ ٢٤.

المصادر والمراجع

- **القرا ن الكريم.**
- الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله احمد سلمان.
- اصول النحو العربي، د محمد عبد.
- اعراب القران، ابو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- اعراب القران وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار الارشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، ط ٤، ١٤١٥ هـ.
- البيان في غريب اعراب القران، ابو البركات بن الانباري، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة احمد السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
- التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية، د عبد العليم بو فاتح، دار التنوير ٢٠١٣ م، الجزائر.
- تفسير القران الكريم واعرابه وبيانه، محمد علي الدرة، دار البركة، ٢٠٠٩ م.
- التفسير الكبير مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي ت ٦٠٦ه دار احياء التراث العربي بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ.
- الجدول في اعراب القران، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧ هـ) دار الرشيد دمشق ط ٤، ١٤١٨ هـ .
- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ،د نعمة العزاوي (بحث في مجلة الموارد ،م ١٠/ العدد (٣،٤) لسنة ١٩٨١ :١١٦.

- دلائل الاعجاز، الشيخ الامام ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت.
- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، حامد كاظم عباس، بغداد، ٢٠٠٤ م.
- الكلمة العربية، د نعمة رحيم العزاوي، بغداد.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د طاهر سلمان حمودة، الدار الجامعية، ١٩٩٨.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د فاضل صالح السامرائي ،دار عمار ١٤٢٣ه ٢٠٠٣م، ط٣.
- مشكل اعراب القران، مكي بن ابي طالب ١٤٠٥ ه، ١٩٨٤م ،ط ٢، تحقيق حاتم صالح الضامن.
- معاني القران واعرابه ابو اسحاق ابراهيم الزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨ م.
- معاني النحو، د فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٩م.
- معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم ج١ ص٥.
- مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري جمال الدين ،تحقيق مازن المبارك –حمد علي حمد الله، ١٣٦٨-١٩٦٤، ط ١.
- نحو القران احمد عبد الستار الجواري، مكتبة اللغة العربية بغداد ٢٠٠٦.